مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 467 – 480
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

مهددات التعايش بين المسلمين والنصارى في المجتمع الأندلسي: الأسباب التاريخية والموضوعية والآثار المعاصرة

Threats to coexistence between Muslims and Christians in Andalusian society: historical and objective causes and contemporary implications

أ/ الهاشمي قروف
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة1
مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة
guerrouf.elhachmi@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2022/11/29 تاريخ القبول: 2022/12/31

الملخص:
شكلت أحداث نصارى قرطبة في القرن الثالث الهجري التي تتداولها الرواية النصرانية وتغيب تقريبا في المصادر الإسلامية، تحديا خطيرا لقيم التعايش في مجتمع الأندلس، حيث كانوا يقدمون على الإساءة إلى النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أمام الملأ مما حدا بالسلطة القضائية إلى ردعهم من خلال القضاء بإعدامهم حفاظا على السلم الداخلي. وصارت تلك الأحداث ملهمة للنصارى عبر القرون لتغذية المخيال الغربي عموما بصور نمطية حول الرموز الإسلامية، بما في ذلك تلك الإساءات للذات النبوية التي احتضنها الإعلام الغربي قبل عقد ونصف من اليوم. ومن ثم فإن هذه الدراسة تحاول لفت النظر مرة أخرى وبصورة علمية إلى تلك الأحداث ومسارات أبعادها لاستبيان الرؤية الصحيحة حول حقيقتها وموقف الغرب الأيديولوجي منها والذي قد لا يزال يتغذى منها.
الكلمات المفتاحية: التعايش؛ الأندلس؛ الفتنة؛ قرطبة؛ النصارى

Abstract:
The events of the Christians of Cordoba in the third century AH, which are circulated in the Christian narrative and are almost absent in Islamic sources, constituted a serious challenge to the values of coexistence in Andalusian society, as they used to offend the Holy Prophet, peace and blessings be upon him, in public, which prompted the judicial authority to deter them by executing them in order to preserve on the inner ladder. And these events became an inspiration for Christians over the centuries to feed the Western imagination in general with stereotypes about Islamic symbols, including those abuses of the prophetic self that Western media embraced a decade and a half ago today. Hence, this study attempts to draw attention once again, in a scientific way, to those events and the paths of their dimensions, in order to clarify the correct vision of their reality and the West's ideological position on them, which may still feed on them.
Key words: coexistence; Andalus; sedition; Cordoba; Christians.

المقدمة:

لما فتح المسلمون الأندلس وحملوا معهم الرسالة الإسلامية بكل قيمها ومعانيها ومقاصدها السامية التي يأتي على رأسها تحرير الإنسان عقلا وفكرا وروحا وإرادة، من خلال كونية خطابها وعالمية دعوتها، ما لبث أن استجابت فئات من السكان الأصليين للدعوة ولبوا نداءها عن وعي وقناعة، ولزمت فئات كثيرة أخرى معتقداتها الدينية، ودخلت في تعايش متنوع المجالات مع المسلمين تحت مظلة عهود الأمان وعقود الصلح والذمة التي وفرها الفاتحون لهم، فأوجد هذا بعدئذ مستويات غير مسبوقة من التفاعل الإيجابي بين تلك المكونات البشرية المتعددة والتي مهدت لإنجازات حضارية أسهم فيها الجميع.

غير أن ذلك التعايش الذي تؤطره وتوجهه منظومات الفقه والسياسة الخاصة بالمسلمين، لم يكن ليشق طريقه عبر الأيام دون عقبات وتحديات، هوت به أحيانا نحو التصارع والتصادم وإشاعة الفوضى المقصودة، لتحقيق مآرب الصراع بين الدعوة وخصومها من النصارى في تلك الجغرافيا المعزولة عن الامتداد البري للأمة الإسلامية.

ولو حاولنا رصد وتتبع تحديات التعايش وتهديداتها طوال فترة الوجود الإسلامي بالأندلس بين المخالفين من اليهود والنصارى على الخصوص (أهل الذمة) وبين المسلمين، لألفينا نماذج لا حصر لها من الحوادث التاريخية التي يمكن تصنيفها ضمن دوائر التهديد المباشر وغير المباشر للتعايش ومقتضياته بين فئات المجتمع الأندلسي بكل أطيافه.

ولعل ما يعرف في التاريخ بوقائع حركة النصارى الشهداء بقرطبة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (أي في منتصف القرن التاسع للميلاد (850-859)، من الحوادث التي ينبغي الوقوف عندها باعتبارها حوادث كانت تهدد قيم التعايش وتنسف قواعد الانسجام الاجتماعي، وتدفع نحو الصراع الداخلي الذي بدوره يستدعي خصومه الخارجيين، مما يهدد كيان الوجود الإسلامي وإنجازاته الحضارية، فما حقيقة هذه الحركة؟ وما المصادر التاريخية التي وردت فيها؟ وما دوافع وأسباب ظهورها؟

المبحث الأول: حقيقة أحداث حركة النصارى الشهداء

بعد مرور ما يربو عن أربعين ومائة سنة من الفتح الإسلامي للأندلس وتبلور تكوّن مجتمع متعدد من المسلمين وأهل الذمة من اليهود والنصارى، لم يهدأ الصراع بين المسلمين بقيادة الدولة الأموية والنصارى الذين استقر بهم المقام في الأقاليم الشمالية والشمالية الغربية من الأندلس في إمارات مستقلة، يهادنون حينا ويقاتلون أحيانا أخرى حسب ما يكون عليه حالهم من القوة والضعف[1].

وفي نفس الوقت فإن طوائف كثيرة من النصارى -وحتى اليهود- بقيت تعيش في كنف الدولة المسلمة تتمتع بكامل حقوقها الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ...وذلك تحت سقف عهود الصلح والأمان التي ما فتئ المسلمون يمنحونها حيثما حلوا لأصحاب البلاد التي تكون قد خضعت لسلطانهم، ويمثل صلح أريولة[2] الذي أبرمه عبد العزيز بن موسى بن نصير مع تيودير والذي يعرف في المصادر الإسلامية بـ" تدمير عبدوش"، مثالا لقيم الاعتدال والتسامح وقبول الآخر واللّين الذي اتصف به الفاتحون المسلمون.

وتقتضي عهود الصلح غالبا أن يحترم المسلمون أهل الذمة ويحفظوا لهم حقوقهم الدينية ويوفروا لهم حرية ممارسة شعائرهم إلى جانب رعاية سائر الحقوق الإنسانية الأساسية، في مقابل ذلك أن يلتزم أهل الذمة باحترام القانون الإسلامي العام من ناحية السلوك الظاهر، وكذا احترام الرموز الإسلامية والحذر من التجاوز في حقها سبا أو شتما أو استهزاء أو غير ذلك.

فهذا ابن عبد البر يسند تلك المقتضيات بقوله: "وينبغي أن يشترط على كل ذمي في عهده أن لا يشتم النبي عليه السلام علانية عند أحد من المسلمين فإن فعل قتل لنقضه العهد"[3].

وفي نفس السياق يقول ابن حزم: "ولا يقبل من يهودي ولا نصراني ولا مجوسي جزية، إلا بأن يقروا بأن محمدا رسول الله إلينا، وأن لا يطعنوا فيه، ولا في شيء من دين الإسلام"[4].

وفي مقابل هذا فإن المسلمين مطالبون باحترام عقائد مخالفيهم وشعائرهم، ولا ينتقصوهم فيها، تماهيا مع نصوص الوحي الكريم التي ترشدهم إلى ذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: 108).

فهذه المقتضيات المرتبطة بعهود الصلح تهدف في جوهرها إلى الحفاظ على أسس التعايش بين مكونات المجتمع المسلم وضمان الانسجام والتناغم بينها، وصيانة البنية الداخلية وشبكة علاقاتها المجتمعية، ذلك أن العبث بها يهدد بنيته في جميع أبعادها ويدفعها نحو هاوية الصراع مما قد يؤدي إلى انحسار الدور الحضاري للأمة وتضاؤل فعاليتها الرسالية.

ومن الأمثلة التاريخية التي شكلت تحديا خطيرا وكبيرا للدعوة الإسلامية وحضارتها بل ووجودها في الأندلس، نقض بعض المعاهدين صلحهم مع المسلمين من خلال الإساءة إلى الرموز الإسلامية مخالفين بذلك عهود الصلح ومقتضياتها، فقد روت وأشارت[5] بعض كتب التاريخ لسلوك بعض نصارى قرطبة على عهد الإمارة الأندلسية ما بين سنوات 235هـ و244هـ (850-859 م) هذا التوجه الخطير، حيث بدرت سلوكات من بعض نصارى قرطبة، يقدمون فيها على نقض مقتضيات عهود الذمة بكامل إرادتهم من خلال السب العلني للذات النبوية الشريفة والنيل من مقدسات إسلامية أخرى انطلاقا من الرؤى التي وضعوها وتصورها هم دون الرجوع إلى المصادر الإسلامية، محاولين بذلك إرباك المجتمع المسلم وإثارة الفوضى ونشر البلبلة، ملتمسين ردود الفعل سواء من عامة المسلمين أو السلطة الرسمية كالقضاء وغيره، وهذا لمنح الحجج لأتباعهم من أجل الثبات على معتقداتهم والتضحية من أجلها – حسب زعمهم – أمام زحف الدعوة الإسلامية في الأندلس.

ظهرت هذه الفئة من النصارى في شكل يوحي بأنه منظم وموجه، وفي تحدٍّ جلي لكل أسس السلم الداخلي للنظام الإسلامي العام، فقد كان يتسابق بعض المعاهدين إلى خرق واضح ونقض متعمد لعهود الذمة بالسب والشتم والنيل من مقدسات المسلمين[6] ومعتقداتهم والتحامل عليها علنا بعيدا عن الحوار والنقاش العلمي الموضوعي.

فأمام هذا النقض الجلي غير المبرر لمواثيق الصلح وعهود الذمة، لم تجد السلطة المسلمة من سبيل لمواجهتها سوى أن تحيل أمر هؤلاء إلى القضاء ليحكم فيهم وفق أصول الشريعة، ولم يجد القضاة المسلمون أول الأمر بدًّا من الحكم على هؤلاء المندفعين ذوي الجرأة بالقتل منعا لهم ولأمثالهم من التجرؤ على رموز الإسلام وأهله وحفاظا على ما يصطلح عليه اليوم بالسلم الأهلي.

غير أن تلك الأحكام القضائية لم تردع أمثالهم، بل عظم أمر هؤلاء واستشرى، فسار على خطاهم آخرون، يدفعهم إلى ذلك تلك الهالة من العواطف المشحونة والقصص المروية حول مواقفهم وإقدامهم وثباتهم وشجاعتهم.

وتعود بدايات هذه الحوادث[7] إلى أواخر عهد الأمير عبد الرحمن الثاني[8] بن الحكم الربضي سنة 235 أو 236 هـ، واستمرت عقب وفاته على عهد ابنه محمد الثاني[9] حتى سنة 244 هـ، أي ما بين سنة 850 إلى

سنة 859 للميلاد، وذلك في خضم صراع محتدم بين إمارة الأندلس وإمارات النصارى في الشمال والشمال الغربي الذي لا يكاد يخبو حتى يشتعل من جديد.

كانت بداية هذه الأحداث عندما أقدم أحد القساوسة في مدينة قرطبة، ويدعى برفكتو "Perfecto" بمجادلة ومحاورة بعض عوام المسلمين حول بعض المسائل العقدية، ودفعته حماسته وعواطفه إلى تجاوز حدوده في التعبير عن ذلك، بحيث أساء إلى مقام النبي الكريم صلى الله عليه وسلم والإسلام، فتم الإبلاغ عنه؛ ومثل أمام القاضي، وثبت على دعواه، ولم يجد بدا من الحكم عليه بإقامة حد القتل، ونفذ فيه الحكم يوم الفاتح من شوال سنة 235هـ / 850م، وذلك بعد أن اجتمع المسلمون لأداء صلاة العيد في صعيد عام خارج المسجد بقرطبة وفي مشهد مهيب ورهيب[10].

وتأثر مؤيدو هذا الراهب من رجال الكنيسة عقب إعدامه، فأقدموا على الإعلاء من شأنه وذلك برفع درجته الدينية، من كونه راهبا إلى مرتبة القديس[11]، فكان هذا ربما بمثابة دعوة غير مباشرة لاستقطاب فئات أخرى من النصارى المتعصبين ليسلكوا هذا الدرب في تحدي السلطة الإسلامية ونظامها القاضي بتجريم الإساءة إلى المقدسات أيا كانت وعلى رأسها الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام.

وتبع هذا الحدث بقليل إقدام راهب آخر يعرف بـ "إسحاق"[12] على سب الرموز الإسلامية أمام القاضي المسلم الذي لم يجد أية حجة أو مبرر لدفع حكم القتل عنه، فنفذ فيه الحكم[13].

وممن تقدم في بدايات هذا الدرب أيضا رجل آخر من النصارى في السنة نفسها أي 851 م، يدعى شانجه أو سانشو، إذ كان من حراس الأمير الأموي، كما كان ذا صلة بـ (Eulogio)، إذ أسمع القضاة المسلمين سب وشتم النبي عليه الصلاة والسلام، فما كان منهم إلا أن حكموا عليه بالموت كسابقيه[14].

ولم يطل الزمن حتى تسلل أمر هذه الحركة إلى قصر الأمير نفسه وطرقت أبوابه عندما صرخ أحد الحراس[15] النصارى المعاهدين- وكان ضمن الحرس الأميري – سابّا النبي عليه الصلاة والسلام وشاتما إياه بأقذع الكلام، ولم يكن هناك بدّ سوى مقاضاته وتأديبه بالموت.

ثم سارت تلك الحوادث تتوالى، يتزعمها ويحرض عليها رجلان، أولهما يدعى القديس أيولوج أو إيليخيو(Eulogio) الذي كان " في بادئ الأمر شماسا ثم صار قسيس كنيسة القديس زويل"[16]، إذ أقبل على الرهبنة والتبتل والتنسك في الأديرة والكنائس مما أكسبه تقدير جميع من عرفوه في محيطه المسيحي وصار له نفوذ في تلك المؤسسات الدينية.

وأما الشخصية الثانية فهي لرجل ينحدر من أسرة قرطبية نصرانية معاهدة يعرف بـ"ألفارو" (Alvaro) القرطبي[17]، والذي كان قد التقى بـ"Eulogio" في قرطبة، وارتبطا معا بعلاقة مميزة كان لها الأثر البالغ في توجيه وإدارة دفة الأحداث الخاصة بهذه الحركة.

ومما ترويه المصادر النصرانية في هذه الحوادث قصة الفتاة فلورا ذات الجمال الفاتن، والتي هي من والد مسلم وأم نصرانية، وكيف تحولت إلى النصرانية بعد وفاة أبيها أو قبل ذلك بدافع وتوجيه أمها النصرانية لها، وكيف فرت من أخيها المسلم ولجوئها إلى أحد الأديرة، واتهمت الكنيسة بإخفائها عن أهلها المسلمين مما جعل السلطة المسلمة تبحث عنها في كل الأمكنة وتحقق مع رجال الدين في الكنائس والأديرة من أجل العثور عليها، وخوفا من أن يتأذى النصارى بسببها – حسب الروايات – أقدمت على تسليم نفسها لأهلها معلنة في نفس الوقت عن تنصرها في صراحة تامة، مما جعل أهلها يبذلون ما في وسعهم لردعها عن ذلك، بيد أن إصرارها على التنصر ويأس أهلها من الرجوع عن ذلك دفعهم إلى تسليمها للقضاة كي يحكموا عليها بمقتضى الشريعة، فحكم عليها بالجلد تأديبا لها عسى أن ترتدع، وسلمت لأهلها مرة أخرى

غير أنها لاذت بالفرار مرة أخرى، وفي فرارها هذا التقت بـ (Eulogio) الذي تأثر بها وسجل مواقفها في ذكرياته عن هذه الفئة، مظهرا إعجابه وانبهاره الشديد بتضحياتها ومواقفها وجرأتها وشجاعتها، لكن السلطة المسلمة في نهاية المطاف ألقت القبض عليها مرة أخرى مع فتاة كانت معها أيضا "هي أخت إسحاق الراهب الذي قضى حتفه سابقا"، وسجنتا مرة أخرى، حيث بقيتا معا في السجن لمدة حتى تم الحكم عليهما بالموت بعد مراجعات متلاحقة غير مجدية[18] من أجل العدول عن التنصر[19].

ومما يروى أيضا في هذه الحوادث جرأة اثنين من الراغبين في الانتحار، حيث دخلا مسجد قرطبة الجامع وارتفع صوتهما بالصراخ تحاملا على الإسلام ونبيه وإشادة بالمسيحية، وأوشك المصلون الفتك بهما لولا تدخل القضاة حيث أرسلا إلى السجن ليحكما عليهما فيما بعد بالقتل[20].

ونجد أن (Eulogio) نفسه تعرض للسجن[21] بسبب ما كان يقدم عليه من تشجيع لأمثال هؤلاء وعلاقته بـ(Flora)، حيث سجل ذكرياته عن هؤلاء وتتبع قصصهم الواحد تلو الآخر، وسجل حواراتهم ومواقفهم وسيرهم في أسلوب تشجيعي وتصوير أدبي فني، مضفيا عليهم هالة من القداسة والروحانية، صاروا بها جميعا فيما بعد مثالا للتضحية والمقاومة في المخيال الغربي العام طوال قرون، وربما لم يزل كذلك وإن بصور مختلفة. فكانت نهاية هذا القس (Eulogio) هو أيضا الموت[22] بعد سنين من بداية تلك الأحداث التي هزت قرطبة، وبموته انطفأت شعلة هذه الحركة ولم يعد يُسمع عمن يقدم على الموت الانتحاري بحسب تلك المصادر سوى مرة أو مرتين.

كما أن الشخصية الثانية التي كانت تدفع نحو هذا المصير المعروف بـ "ألفارو" (Alvaro) القرطبي كان قد توفي في بداية تلك الأحداث، وقد ترك ميراثا أدبيا وفكريا سجل فيه أسفه من انبهار النصارى بثقافة المسلمين وحضارتهم[23].

تحصي المصادر والمراجع الغربية عدد الذين أقدموا على رمي أنفسهم نحو هذا المصير خلال فترة الحوادث تلك والتي استمرت طوال عشر سنوات، ما يقرب من الخمسين شخصا من مختلف فئات نصارى قرطبة، حيث دون (Eulogio) ذلك في مؤلفه عنهم "ذكريات الشهداء" (Memoriale sanctorum)[24]، وهذا ما يدعونا إلى الحديث عن المصادر الأخرى التي وثقت هذه الحوادث للتحري عن حقيقتها.

وتذكر المصادر النصرانية أن بعد هذه السنة لم يسجل أن نصارى آخرين سلكوا هذا النهج في تناول الرموز والمقدسات الإسلامية بالسب والشتم، إذ خبا أوار تلك الحركة وتم القضاء عليها، "فلم تسمع بين عامي 859 و983م إلا حادثين من حوادث السب والقتل، ولم نسمع عن حوادث أخرى من هذا النوع في أثناء الحكم الإسلامي في إسبانيا"[25].

إن الفترة السابقة التي حددها المؤرخ ديورانت طويلة نوعا ما، ذلك أن أحد الحادثين والوحيد الذي تشير إليه المصادر الإسلامية، يكون قد وقع فيما بين 280 للهجرة و314 للهجرة، وهو التاريخ توفي فيه آخر القضاة الذين تتعلق فتواهم بالحادثة كما سيرد تفصيل ذلك لاحقا.

ثانيا: المصادر التاريخية الموثقة لحركة النصارى الشهداء الانتحارية

أولا: المصادر النصرانية

التنقيب عن مصادر هذه الحوادث يقتضي منهجيا تناول ذلك من زاويتين، زاوية المصادر الإسلامية باعتبار أن الحوادث وقعت في بلاد المسلمين التي هي الأندلس، ومن زاوية المصادر الغربية كونها متعلقة بفئة من نصارى الأندلس الذين أقدموا على اقتحام هذا المسلك غير المعهود.

لقد أولى الفكر الغربي المسيحي - ولا يزال- حوادث نصارى قرطبة أهمية كبرى منذ أحقاب طويلة، لما انطوى عليها من تصورات لمواقف وتطور الصراع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية في الأندلس وخارجها في الأزمنة الغابرة والحاضرة أيضا.

ولا زالت تلك الحوادث تسيل لعاب أقلام الغربيين متناولين إياها سردا وتحليلا ودراسة بمختلف لغاتهم.

والمصدر التاريخي الأساسي الذي تستند إليه تلك البحوث والدراسات المختلفة والذي يعد الشاهد الأساسي الذي وثق حوادث الحركة من الداخل وكان عنصرا فاعلا فيها هو (Eulogio) والذي لقي حتفه بسبب الدور التشجيعي القيادي الذي كان يؤديه، إذ صنف كتابه "ذكريات الشهداء" (Memoriale sanctorum) المشار إليه آنفا ليسطر سيرهم، منوها ومشيدا بما يقوم به هؤلاء من تضحيات، ومن ثم فهو المصدر الأول الذي تستقى منه أخبار تلك الحركة وينطلق منها من حيث إثباتها وتحليل مجرياتها...

وهذه الشخصية هي من أواخر من تمت مقاضاته وإدانته، فحكم عليه بالإعدام سنة 859 م[26] على ما تذكر كتب النصارى التي تحدثت عن تلك الحركة.

فمدار الرواية النصرانية الأساسية لهذه الحوادث يتمحور حول ما ورد في كتاب " ذكريات الشهداء" لصاحبه (Eulogio) والذي كان ضمن هذه الحركة بل ومن منظريها حسب ما يورده الباحثون النصارى قديما وحديثا.

يعتبر النصارى منذ القرون الوسطى هذه الحركة ملهمة لهم في مقاومة المد الإسلامي في إسبانيا بل والأساس الأول في الانطلاقة نحو التشبث بالهوية المسيحية أمام زحف الدعوة الإسلامية من جهة، ونحو عملية الاسترداد من جهة أخرى.

لهذا نجد اهتماما لا نظير له لهذه الحركة في كتب الغربيين بمختلف لغاتهم منذ قرون وقرون وإلى يوم الناس هذا، خاصة اللغة الإسبانية والفرنسية والإنكليزية، إذ بمجرد إدخال مصطلح شهداء قرطبة باللغات الغربية في محركات البحث على الشبكة العنكبوتية لوقفت أمام كم هائل من الدراسات والبحوث المنجزة حولها بمختلف اللغات[27].

كما أن الإيطالية وحتى الألمانية لا بد وأنها ليست بمعزل عن مثل تلك البحوث والدراسات حول تلك الحوادث وإن لم نتمكن من الاطلاع عليها بسبب عدم معرفتنا بهما، وذلك لمكانتهما الحضارية في أوربا.

لقد لوحظ أن الفكر الغربي المسيحي التاريخي اهتم بهذه الحوادث اهتماما بالغا منذ أن رفع الستار رينهارت دوزي عن تلك الحوادث بنشر "ذكريات الشهداء"، ليزداد ذلك الاهتمام مع نهاية القرن التاسع عشر وإلى أيامنا هذه.

فالمستشرق الهولندي "رينهارت دوزي" (1820-1883) أسهب في الحديث عنها في كتابه المترجم إلى العربية والمكون من ثلاثة أجزاء" المسلمون في الأندلس" من صفحة 85 إلى 102، والإسبانيين "فرانسيسكو جافيير سيموني Fransisco Javier Simonet" (1829-1897) في كتابه "تاريخ المستعربين في اسبانيا Historia de los Mozarabes de espana" من صفحة 258 إلى 272، ومن صفحة 413 إلى 422، و" رافائيل ألتاميرا (1866-1951) Rafael Altamira y Crevea" في كتابه " تاريخ اسبانيا والحضارة الاسبانية" بدءا من صفحة 231 وما بعدها.

ونجد المؤرخ الأمريكي العالمي "ويل ديورانت(1885-1981)" في كتابه "قصة الحضارة" في الجزء 13 صفحة 298-300، والإنكليزي "ستانلي لين بول (1854-1931) Stanley Lane-Poole" في كتابه "قصة العرب في إسبانيا" من صفحة 59 إلى 71.

ومن الفرنسيين القدامى نجد المستشرق" ليفي بروفنسال (1894-1956)Évariste Lévi Provençal" في كتابه "تاريخ الأندلس الإسلامية" في ثلاثة أجزاء والمترجم إلى العربية، حيث تحدث عن حوادث قرطبة في الجزء الأول ص 187 وما بعدها. وأما المعاصرين كـ"Cyrille Aillet" في كتابه" Identité chrétienne,arabisation et conversin au IX siècle" من صفحة 65 إلى 77، و"جون تولون John Tolan" في كتابه " Reliques et paiens la naturalisation des martyrs de cordoue à St Germain " بدءا من صفحة 67 إلى 80، و" بيار غيشار (1939-2021) Pierre Guichard " في كتابه "الأندلس Al-andalus"، وسوى هؤلاء وما أكثرهم.

هذه نماذج من المفكرين والمؤرخين الغربيين الذين تناولوا حوادث نصارى قرطبة من زوايا متعددة ومتفاوتة لكنهم جميعا يعتمدون على ما سجله أحد عناصر تلك الحركة المدعو (Eulogio) في كتابه الآنف الذكر.

ويجدر هنا في آخر هذا المبحث إيراد تعليق ليفي بروفنسال حول الرواية النصرانية لما فيها من محاولة التشكيك أو الحد من حيزها التاريخي فيقول: "ويرجع الفضل إلى دوزي في إخراج هذه المعلومات إلى النور، ورغم ذلك فهذا العلامة الذي أوردها في سياق حديثه عن فترة حكم الأمير الرابع الاسباني الأموي، أعطاها أبعادا زائدة عن الحد بالمقارنة بباقي أحداث تلك الفترة. وربما خيمت القتامة على دور عبد الرحمن الثاني في النهضة الحضارية وتطور الحياة الاجتماعية والإدارية في الأندلس، إذا ما وقفنا فقط على الاتهامات التي كالها له شخص يدعى إيولوخيو (Eulogio) وآخر يدعى ألفارو (Alvaro)"[28].

فالتمعن في هذا النص في تصوري يفضي إلى أن هناك بعضا من الجهد النقدي الذي لا يشكك في الرواية النصرانية لحوادث نصارى قرطبة من الأساس، ولكن يدعو إلى طرح تساؤلات موضوعية حول حقيقة زعمائها ومرشديها، وحول حيزها التاريخي الذي حظيت به.

وهذه الرؤية النقدية الموجزة المفتقدة في كثير من المصادر والبحوث النصرانية بلغاتها المختلفة تدعو الفكر الإسلامي إلى إعادة طرح النقاش حول هذه الأحداث من خلال التنقيب في المصادر الأصلية النصرانية الموثقة لها ونقدها وفق المناهج العلمية، ذلك أن تلك الحوادث حسب الرواية النصرانية بتلك الصورة أخذت شكل الظاهرة الاجتماعية التي يصعب تجاهلها من المؤرخين المسلمين.

فإذا كانت المصادر الإسلامية وثقت ما أقدمت عليه امرأة واحدة كما في نوازل ابن سهل، فكيف لا يتم توثيق ما أقدم عليه زهاء خمسين نصرانيا من الإساءة للرموز الإسلامية وملاقاة المصير ذاته الذي لقيته تلك المرأة؟

ثانيا: المصادر الإسلامية

تشكل هذه الحوادث إشكالية في المصادر التاريخية الإسلامية وخاصة المصادر الأندلسية، ذلك أن تاريخ ابن القوطية والمقتبس لابن حيان؛ اللذان يعتبران المصادر الرئيسة في تدوين تاريخ الأندلس إلى القرن الخامس الهجري، لا توجد فيهما إشارة ولو صغيرة لتلك الحوادث على جسامتها.

فالجزء الذي حققه ونشره محمود علي مكي من تاريخ ابن حيان "المقتبس" فلما جاء على ذكر حوادث سنة خمس وثلاثين ومائتين للهجرة وما تلاها، لا نجد ذكرا أو إشارة لها[29].

كما أنه إذا تفحصنا كتب التاريخ الأخرى التي كتبت فيما بعد ابن حيان وابن القوطية حتى عهد ابن خلدون، لوجدناها كلها خالية من ذكر هذه الحوادث، حتى أن ليفي بروفنسال يؤكد هذا بقوله: "لا نجد في المراجع والأخبار العربية، أيا كان تاريخ تحريرها، أي إشارة إلى الأحداث التي جعلت معظم أيام مسيحيي قرطبة مليئة بالحداد"[30].

وعندما نتجاوز تلك الفترة ونتصفح المؤلفات التي كتبها المؤرخون المسلمون المختصون في تاريخ الأندلس في عصرنا هذا، لوجدنا بعضا منهم يعرج على ذكر تلك الحوادث بإيجاز كما فعل "حسين مؤنس(1911-1996)" في كتابه "معالم تاريخ الأندلس" حيث أشار إليها في الصفحتين 325 و326. وفي مقابل هذا الإيجاز نجد على سبيل المثال المؤرخ "محمد عبد الله عنان(1896-1986)" في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" يسهب نوعا ما في تناول تلك الحوادث سردا وتحليلا استنادا إلى المؤرخين الغربيين من ص 267 إلى 274.

يبقى التساؤل قائما حول سبب عدم وجود ذكر لهذه الحوادث بشكل صريح في مدونات التاريخ الإسلامي التي خطتها أنامل المؤرخين المسلمين في تلك الأحقاب، مع أنهم كانوا يسجلون أحداثا ذات شأن أقل بكثير.

وإذا كان ذكر تلك الحوادث منعدما في تلك المصادر فإن محاولة العثور عليها يستوجب البحث في مجالات أخرى كالمؤلفات التي تؤرخ للقضاة والنوازل والفتاوى.

ففي نوازل ابن سهل نجد هذا النص[31]: "من أحكام ابن زياد[32]: بسم الله الرحمن الرحيم، يشهد المسمون في هذا الكتاب من الناس أنهم حضروا في مجلس القاضي أحمد بن محمد قاضي الجماعة بقرطبة فدخلت عليهم امرأة تسمت بذبحة / زعمت أنها نصرانية فاستهلت بنفي الربوبية عن الله عز وجل، وقالت: إن عيسى هو الله – تعالى عما قالت علوا كبيرا- وخرجت إلى أن قالت: وأن محمد كذب فيما ادعاه من النبوءة – صلى الله على محمد عبده ورسوله- شهد على السماع منها بنفي الربوبية عن الله عز وجل وتكذيبها محمدا ﷺ فلان وفلان. فهمنا -وفق الله القاضي-ما قالت المرأة الملعونة المتسمية بذبحة، وما شهد به عليها من نفيها الربوبية عن الله عز وجل، وقولها: إن عيسى هو الله، وتكذيبها بنبوة محمد ﷺ، فالذي نراه أن قد وجب عليه القتل وتعجيلها إلى النار الحامية، عليها لعنة الله. قال بذلك عبيد الله بن يحيى[33]، ومحمد بن وليد[34]، وأحمد بن يحيى"[35].

إن المجال المكاني للحادثة الفردية هو قرطبة، والمجال الشخصي هو امرأة نصرانية، والمجال الزمني هو النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، أي بعد سنة 244 أو 245 للهجرة، وهو التاريخ الذي قضي فيه على تلك الحوادث.

فهذه الحادثة تتطابق فقط مع ما ذكره المؤرخون الغربيون حول تكرار مشهد النيل من المقدسات الإسلامية بعد حوادث قرطبة مرتين فقط، كما مر بنا سابقا مع ويل ديو رانت، حيث طوال أكثر من مئة سنة لم تسجل مثل هذه الحوادث، ويبقى تعيين زمن وقوعها متعلق بزمن صدور الفتوى السابقة من أولئك القضاة والذي لا يتعدى فترة الستين سنة التي تلت تلك الحوادث، أي ما بين 244هـ إلى غاية 315هـ.

ثم أن الرواية الغربية لوقوع حادثين مماثلين لما كان قد وقع سابقا، بعد إخماد حركة نصارى قرطبة لا تحدد اسمي الشخصين ولا جنسهما، خلافا لما فعلته مع انتحاريي قرطبة من قبل، في حين نجد أن الرواية الإسلامية الأندلسية حددت جنس الشخص الذي أقدم على الإساءة للمقدسات الإسلامية كونها امرأة وأن اسمها "ذبحة".

واسم "ذبحة" ينبغي البحث عن أصوله اللغوية لتحديد ما إذا كان نصرانيا أو مسلما حتى يتحدد مجال البحث حول كون المسيئة نصرانية بالأصل أم هي مرتدة.

وفي كتاب الشفاء للقاضي عياض المالكي نجد النص التالي الذي هو عبارة عن فتوى: "وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة[36] في جماعة من سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت (أي صرخت) بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله، وبتكذيب محمد في النبوة، وبقبول إسلامها ودرأ القتل عنها به"[37].

فنص القاضي عياض في الأساس هو منقول عن نص ابن سهل مع تغييرات طفيفة، إذ هو أكثر إيجازا.

فالفروق بين هذا النص والذي سبقه ليست بالجوهرية، سوى أن هذا النص لم يسم هذه النصرانية، كما أن نص القاضي عياض يشير إلى ابن لبابة كقاض إلى جانب عبيد الله، أما نص ابن سهل فيذكر أحمد بن يحيى ومحمد بن وليد إضافة إلى عبيد الله.

وهؤلاء الفقهاء القضاة عاشوا في فترة واحدة تمتد من بدايات النصف الثاني من القرن الثالث إلى بدايات العشرية الثانية من القرن الرابع للهجرة بحسب ما هو مذكور في تراجمهم السابقة، وأسنّهم هو ابن لبابة، ومع ذلك فإن حوادث قرطبة لما بدأت كان عمره عشر سنوات، ومن المستحيل أن يكون قد تصدر الفتوى والقضاء طوال فترة تلك الأحداث لعامل السن.

وبما أن هؤلاء القضاة لم يدركوا تلك الحوادث إن كان وقوعها صحيحا، فإن الفتوى الصادرة عنهم تتعلق بالرواية النصرانية حول وقوع حادثين بعد حوادث قرطبة بسنين طويلة، حيث ارتبطت الفتوى بامرأة نصرانية، والرواية النصرانية لم تحدد جنس الشخص المسيئ، فتكون الرواية الإسلامية تتفق مع الرواية النصرانية حول شخص واحد فقط، ولا تنفي أو تثبت وجود شخصية أخرى، وذلك الشخص هو امرأة صدر حكم القضاء فيها بالقتل بعدما أقدمت عليه من إساءات للذات النبوية الشريفة.

وقد توقف المستشرق ليفي بروفنسال عند هذه الفتوى محاولا إثارة بعض التساؤلات حول مدى وثوقية الرواية الإسلامية لهذه الحادثة، لكنه يقر من جهة أخرى أن سياق حدوثها كان يتماهى مع فتاوى أخرى قضت بقتل رجل من المسلمين تطاول على الرموز الإسلامية[38].

هناك استفهامات كثيرة حول عدم ورود هذه الحوادث في النصوص التاريخية الإسلامية الأندلسية وغير الأندلسية المغربية والمشرقية على حد سواء، في مقابل استرسال المصادر الغربية في ذكرها بالتفصيل الدقيق الذي قد لا يوجد في حوادث مماثلة، وفي هذا السياق فإنه يستغرب من الباحثين المسلمين الكبار في هذا العصر، الذين تخصصوا في التاريخ الأندلسي باللسان الإسباني وغيره أن لايثيروا التساؤل حولها، ويمحصوا الوثائق التاريخية الإسلامية والنصرانية بما يخدم الحقيقة العلمية دون موارية.

أسباب ظهور هذه الحركة

إن الحديث عن أسباب حدوثها لا يعني الإقرار بالرواية الغربية، ولكن من باب إتمام جوانب الدراسة الموضوعية لها بافتراض أنها حقيقة تاريخية لا مناص من الاعتراف بحدوثها.

والرواية الغربية تسرد جملة من الأسباب والعوامل التي أدت إل ظهورها، ويمكن تقسيم تلك العوامل والأسباب إلى قسمين:

أولا: الأسباب الداخلية

عندما نقلب صفحات المصادر النصرانية التي تحلل أسباب هذه الحوادث فإنها ترجعها إلى جملة أسباب، نقتصر منها على ذكر سببين نراهما رئيسيين هما:

أولا: هيمنة الثقافة والحضارة الإسلامية وخاصة لغتها العربية على جوانب كثيرة من حياة أهل الذمة في الأندلس عموما وفي قرطبة خصوصا، وتأتي شهادة أحد رجال الدين النصارى الوافدين على قرطبة لتؤكد هذا حيث يقول:" إن إخواني المسيحيين يعجبون بقصائد العرب وقصصهم، وهم لا يدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ليردوا عليها ويكذبوها، بل ليتعلموا الأساليب العربية الصحيحة الأنيقة ... واحاسرتاه! إن الشبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة غير علوم العرب آدابهم ولغتهم؛ فهم يقبلون في نهم على دراسة كتب العرب، ويملئون بها مكتباتهم، وينفقون في سبيل جمعها أموالاً طائلة، وهم أينما كانوا يتغنون بمديح علوم العرب"[39].

وينقل لنا محمد عبد الله عنان اعتراف المؤرخ والمستشرق الإسباني سيمونيت Simonet بمدى تأثر شباب الأندلس النصارى بالمجتمع المسلم وثقافته وتقاليده قائلا: "هذا، وقد كان يأسر الشباب النصراني منظر العظمة المادية والحضارية، التي تفوقت بها قرطبة المسلمة على قرطبة النصرانية، وما كانت تقترن به هذه العظمة من المظاهر الأدبية والفنية.... وكان من مظاهر تأثر الشباب النصراني أنهم كانوا يكتبون ويتكلمون العربية محتقرين دراسة اللغة والآداب اللاتينية، وهو أمر كان شديد الخطر على وطنيتهم ودينهم..."[40].

إن هذا التأثير للحضارة الإسلامية في نفوس أهل الذمة عُدّ من طرف الباحثين الغربيين النصارى الدافع الأساسي والمبرر الرئيس لظهور حركة النصارى الانتحارية كرد فعل مقاوم لهذا التأثير حماية لمجتمع النصرانية من الانصهار في مجتمع الدعوة الإسلامية التي كانت تعيش أوج إشعاعها الحضاري.

ثانيا: اكتساح الدعوة الإسلامية لفئات كثيرة من نصارى الأندلس مع مرور الأيام، حيث لمس أهل الذمة حقيقة الرسالة الإسلامية وما تحمله من هدايات تتضمن قيم العدل والحرية...فاهتدى كثير منهم إلى الإسلام، مما جعل مجتمع النصارى الذين هم جزء من المجتمع الأندلسي ينحصر أفراده وتقل أعداده، مما يهدد كيانهم الديني والاجتماعي والثقافي.

فقد سارع عبيد الأندلس النصارى إلى الدخول في الإسلام لما علموا أنهم باعتناقه يتحررون من رق العبودية حيث يذكر أحد المستشرقين أن" عبيد المسيحيين الذين ظلوا يائسين من التخلص من الرق طول حياتهم، فقد مُهد أمامهم اليوم طريق إلى الحرية من أسهل الطرق وأهونها، فليس عليهم إلا أن يذهبوا إلا إلى أقرب محتسب أو قاض، وينطقوا بالشهادتين، فيصبحوا في التو أحرارا "[41].

ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العبيد فقط وإنما شمل الأحرار أيضا حيث" أسلم كثير من كبار الملاك والسراة؛ إما للفرار من الجزية، وإما للمحافظة على ضياعهم، وإما لأن نفوسهم مالت مخلصة للإسلام وأحبت ما في التوحيد من جلال ويسر"[42].

فهذه الاعترافات الغربية على ما فيها من اعتلال ولمز، توحي برعب النصارى - سواء الذين انطووا تحت مظلة الحكم الإسلامي من أهل الذمة، أو من أولئك النصارى الذين ظلوا يصارعون الدولة المسلمة في الأندلس على طول امتدادات الحدود الجغرافية بينهما- من توسع الدعوة الإسلامية وتغلغلها في مجتمعات النصارى الأندلسية، وهذا جعلهم يدقون ناقوس الخطر ويبحثون عن الوسائل المثلى التي تحد من هذا التمدد، والتي اهتدى بعضهم إلى وسيلة تحدي السلطة المسلمة من خلال الإساءة إلى المقدسات الإسلامية والنيل منها بالسب والشتم المقذع بعيدا كل البعد عن الحوارات الموضوعية والمناقشات العلمية ، بغية نيل عقوبة الإعدام، ومن ثم بعث الروح الدينية في نفوس النصارى، مما يدفعهم إلى التمسك بمقدساتهم ورموزهم الدينية حسب تصورهم.

وهناك ادعاءات أخرى للنصارى ترد في كتبهم القديمة والحديثة والتي تبرر ما أقدمت عليها تلك الحركة في قرطبة مثل قضية هدم الكنائس، ومصادرة الأملاك العقارية.... وغير ذلك من الدعاوى التي لا يمكن أن يلتفت إليها، لكون الحقائق التاريخية للحضارة الإسلامية في كل الأزمنة والعصور تفندها بصورة قطعية، بل وحتى واقع الأمة اليوم يشهد بخلافها، ومن ثم أعرضنا عن إيرادها وتجشم الصعاب للرد عليها، كما أن هناك رؤى لمستشرقين منصفين تدحضها ويمكن مراجعتها في مظانها.

ثانيا: الأسباب الخارجية

إن أحداث فتنة حركة نصارى قرطبة - حسب الرواية النصرانية دائما- لا يمكن قراءتها بمعزل عن العوامل والدوافع الخارجية أيضا، إذ أنها تبدو أن لها امتدادات خارجية قد تكون مباشرة أو غير مباشرة ، وهنا نستحضر أمرين هامين قد يعتبران دليلا على ضلوع الأطراف الخارجية فيها وهما:

أولا: اضطراب أمر مدينة طليطلة الأندلسية وخروجها عن سيطرة الإمارة الأموية الأندلسية في تلك الفترة، حيث "لبثت طليطلة عصرا تضني حكومة قرطبة بتمردها وثوراتها المتوالية.... وكانت فوق ذلك مثوى التيارات النصرانية الخطرة...تنساب إليها من نصارى الشمال ومن النصارى المعاهدين بقرطبة، ومن أهلها أنفسهم"[43].

لقد شكلت هذه المدينة الحصينة خطرا مستمرا على مركز الإمارة الأموية في قرطبة وتهدد كيانها، حيث كانت منفى وملجأ لكثير من الفئات، إذ يقول ابن خلدون أن "أهل طليطلة يكثرون الخلاف ونفوسهم قوية لحصانة بلدهم فكانت طاعتهم ملتانة"[44].

ففي وسط تلك الأحداث التي صارت تهدد كيان الإمارة الأموية من الداخل، أضحت طليطلة مركزا يؤوي كل من يريد الثورة ضدها من الخوارج والمعاهدين المتمردين، بل وتتحالف مع إمارات الشمال النصرانية وتستمد منها العون والمدد.

وعند تقليب صفحات كتب التاريخ التي ترصد ما حدث ويحدث في هذه المدينة لأدركنا مدى معاناة الإمارة الأموية في السيطرة عليها، فقلما يمر عقد من الزمن دون أن تكون هناك حركة إرباك لمركز الإمارة في قرطبة.

ثانيا: قدوم راهبين من فرنسا إلى قرطبة

تورد كتب الرواية النصرانية لتلك الحوادث بوفود راهبين من فرنسا على قرطبة " ليستجديا شيئا من آثار الشهداء، ثم عادا بحقيبة مملوءة بعظامهم لتعرض في باريس"[45]، قصد إظهار تضحيات هؤلاء بحسبهم أمام الجماهير الكنسية في فرنسا وغيرها، وتجييش عواطفهم في مواجهة المد الحضاري للرسالة الإسلامية على كل المستويات.

إن قدوم هذا الوفد يوحي بأن المؤسسة الكنسية في فرنسا وغيرها ومن ورائها المؤسسة الكبرى " الفاتيكان"، كانوا يتابعون ويرقبون تلك الحوادث وما تحمله في ثناياها من تبعات وآثار لاستثمارها في خدمة الأهداف الكنسية من جهة، وتعبئة مختلف القوى النصرانية للوقوف ضد قوة الحضارة الإسلامية التي كانت على تماس جغرافي مباشر معها، وهذا ما يدعو إلى ضرورة تكثيف البحث التاريخي عن مدى تدخل القوى الخارجية في تنظيمها وتوجيهها.

الخاتمة:

لقد شغلت حوادث فتنة نصارى قرطبة حيزا كبيرا وحضورا قويا ومستمرا في الفكر النصراني الغربي رواية وتاريخا وسردا وتحليلا بما يوحي بأنها أضحت مرجعية أيدولوجية تغذي جوانب مختلفة من التصور الغربي نحو الحضارة الإسلامية.

إن ما لقيته تلك الأحداث من اهتمام نصراني في القرنين الأخيرين يوجب على الفكر الإسلامي إعادة تقليب صفحات التاريخ الإسلامية للوقوف على حقيقة هذه الأحداث، ورصد الأسباب التي أدت إلى خلو المصادر الإسلامية من ذكرها والتعرض لها إذا كانت قد حدثت بالفعل.

إن تناول الرموز الدينية - أيا كانت- بالإساءة، ترفضه الدعوة الإسلامية من خلال الأحكام المسطرة في المبادئ العقدية والمظان الفقهية والأخلاقية، ومن ثم فإنها تستلزم مجابهتها وفق القواعد والمقاصد الشرعية حفاظا على قيم التعايش والانسجام المجتمعي في الأمة التي تتصف بتعدد الطوائف والمذاهب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الازدي، أبو الوليد (403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989.

2- ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد (456هـ)، المحلى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.

3- ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي (469 هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ر ط، 1971.

4- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، (808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، د ر ط، 1971.

5- ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي (476 ه)، الإعلام بنوازل الأحكام، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط 1، 1995.

6- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (463هـ)، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1978.

7- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة د ر ط، د ت.

8- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د/ حسن إبراهيم حسن، د/ عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1971.

9- بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط 3، 2000.

10- دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د رط، 1994. لين بول، ستانلي، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم، دار تلانتيفيت للنشر، بجاية، الجزائر، د ر ط، 2018.

11- ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، دار الجيل، بيروت، د ر ط، 1988.

12- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (748هـ) سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1985.

13- الزركلي، الأعلام، دار العم للملايين، لبنان، ط 15، 2002.

14- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997.

15- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 2002

16- محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2003.

17- Simonet, Francisco Javier, HISTORIA de los MOWARABES DE ESPANA, Vol1, Madrid.

الهوامش:

[1]- عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997، (1/ 266-267)

[2]- المصدر نفسه (1/ 55-56).

[3]- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (463هـ)، الكافي في فقه أهل المدينة، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1978، (1092/2)

[4] - ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد (456هـ)، المحلى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، (375/5-386).

[5]- حددت ذلك بالرواية والإشارة قصدا، تبعا لما سأتحدث عن مصادر هذه الوقائع في مبحث لاحق.

[6]- وقد أعرضت عن ذكرها لأنه لا يليق سردها لما تضمنته من فظاعة ودناءة، وما الإساءات للذات المحمدية التي عشناها قبل عقد ونيف من الزمن إلا صدى مباشر أو غير مباشر لما كان يقدم عليه بعض نصارى قرطبة.

[7]- دولة الإسلام في الأندلس، (1 / 267) وما بعدها.

[8]- عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ابن عبد الرحمن الاموي، أبو المطرف، رابع ملوك بني أمية في الاندلس (176 -238 هـ = 792 - 852 م). ولد في طليطلة وبويع بقرطبة سنة 206 هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، دار العم للملايين، لبنان، ط 15، 2002، (305/3).

[9]- محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الاموي، أبو عبد الله، من ملوك الدولة الاموية في الاندلس (207-273هـ = 822 -886 م). مولده ووفاته في قرطبة، ولي الملك بعد وفاة أبيه (سنة 238 ه). انظر: الزركلي، الأعلام، (189/6).

[10]- دوزي، رينهارت، المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د رط، 1994، (1/ 96).
لين بول، ستانلي، قصة العرب في إسبانيا، ترجمة علي الجارم، دار تلانتيفيت للنشر، بجاية، الجزائر، د ر ط، 2018، ص86.

[11]- ديورانت، ويل، قصة الحضارة، ترجمة، محمد بدران، دار الجيل، بيروت، د ر ط، 1988، (299/13).

[12]- أرنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: د/ حسن إبراهيم حسن، د /عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1971، ص 165.

[13]- ستانلي، قصة العرب في إسبانيا، ص 86.
-دوزي، المسلمون في الأندلس، (1/ 100).

[14]- ستانلي، قصة العرب في إسبانيا، ص 86.

[15]- ديورانت، قصة الحضارة، 299/13.

[16]-دوزي، المسلمون في الأندلس (89/1-90).

[17] -Simonet,Francisco Javier, HISTORIA de los MOWARABES DE ESPANA ,Vol1,Madrid , p 2-58270

[18]- HISTORIA de los MOWARABES DE ESPANA ,Vol1,413/422

[19]- ستانلي، قصة العرب في اسبانيا، 89-90، دوزي، المسلمون في الأندلس، (1/ 110) وما بعدها. ديورانت، قصة الحضارة، (13/ 298-300)، عنان، دولة الإسلام في الأندلس، (272/2-273).

[20]- دوزي، المسلمون في الأندلس، (1/ 112).

[21]- المصدر نفسه، (1/ 110) وما بعدها.

[22]- ديورانت، قصة الحضارة، (297/13).

[23]- المصدر السابق، (13/ 297).

[24]-دوزي، المسلمون في الأندلس، (1 / 102).

[25]- ديورانت، قصة الحضارة، (300/13).

[26]- دوزي، المسلمون في الأندلس، (126/1). ستانلي، قصة العرب في اسبانيا، ص 92

[27]- وحبذا لو تتكون لجنة بحثية تكون ملمة بمختلف اللغات الغربية فتحصي تلك الدراسات الخاصة بهذه الحركة لتتوضح رؤية الفكر النصراني لقضايا التعايش والتسامح وكيف تطورت.

[28]- بروفنسال، ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، مصر ط 3، 2000، (188/1).

[29]-ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الاموي (469 هـ)، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د ر ط، 1971، ص 145 وما بعدها.

[30]- المصدر نفسه، (1 /187).

[31]-ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي (476 ه)، الإعلام بنوازل الأحكام، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري، ط 1، 1995، (8878/2-879).

[32]- ابن زياد (000 -312 هـ = 000 -924 م) أحمد بن محمد بن زياد اللخمي، الملقب بالقاضي الحبيب: من قضاة قرطبة. كان من أكمل الناس وآدبهم. نشأ أثيرا عند الخلفاء، واشتغل بالتجارة إلى أن ولي القضاء بقرطبة سنة 291 فكان أول ما باشره جمع (الأقضية والأحكام) مما أفتى به فقهاء عصره، في أجزاء، للرجوع إليها في نظائرها. واستمر إلى أن توفي صاحب الأندلس عبد الله بن محمد، وولي بعده حفيده الناصر عبد الرحمن بن محمد، فعزله الناصر سنة 300 هـ، ثم أعاده سنة 309 فاستمر إلى أن توفي 312 هـ. انظر: ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد(799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة د ر ط، د ت، (20/1)، والزركلي، الأعلام، (206/1).

[33]- عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي الفقيه، الإمام، المعمر، أبو مروان الليثي الأندلسي، القرطبي، مسند قرطبة. روى عن: والده الإمام يحيى الموطأ وتفقه به، وارتحل للحج والتجارة، فسمع طائفة من العلماء وطال عمره، وتنافسوا في الأخذ عنه، وكان كبير القدر، وافر الجلالة. توفي: في عاشر رمضان، 298 هـ، وصلى عليه ولده يحيى، وكانت جنازته مشهودة. ولقد قيل: إنه شوهد يوم موته البواكي عليه من كل ضرب حتى اليهود والنصارى، وما شوهد قط مثل جنازته، ولا سمع بالأندلس بمثلها. انظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد لله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (748هـ) سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1985، (531/13).

[34]- محمد بن وليد بن محمد بن عبد الله بن عبيد، من أهل قرطبة؛ يكنى: أبا عبد الله، سمع من العُتْبِيّ وغيره. كان حافظا للفقه، عالما بالشروط، مشاوراً في الأحكام، وكان متقدما عند أحمد بن محمد بن زياد القاضي، وكانت للأمير عَبْد الله به عناية. قال أحمد: وتوفي في النصف من ذي القعدة سنة 309 هـ. انظر: ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد (403هـ)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989، (2/ 675-676).

[35]- أحمد بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي، يكنى أبا القاسم من أهل قرطبة، رفيع البيت في العلم والجاه يعرف بالتائه، سمع من بن وضاح وعمه عبيد الله وشوور مع هذه الطبقة، ولذلك سمي بالتائه فعاجلته المنية. كان عالماً بالفقه متصرفاً في كثير من العلوم أديباً مفتياً شاعراً مجوداً ذا عناية وفهم حسن. مات سنة سبع وتسعين قبيل عمه عبيد الله بسنة وهو ابن سبع وأربعين سنة. انظر: ابن فرحون، الديباج المذهب، (154/1)، و: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2003، (115/1). تاريخ علماء الأندلس، (62/1-63).

[36]- ابن لبابة (226 -314 هـ)، هو محمد بن عمر بن لبابة، أبو عبد الله، الحافظ المشاور، من أهل قرطبة ومن علماء المالكية الأجلاء، كان أفقه الناس وأعرفهم باختلاف أصحاب مالك، ومقدما على اهل زمانه في حفظ الرأي والبصر بالفتيا، انفرد بالفتيا لمدة ستين عاما، توفي وله ثمان وثمانون سنة، انظر: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (129/1).

[37]- القاضي عياض، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي(544هـ)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 2، 2002، (116/2).

[38]- تاريخ إسبانيا الإسلامية، (190/1-191).

[39]- ديو رانت، قصة الحضارة، (297/13).

[40]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، (269/1).

[41]- ستانلي، قصة العرب في اسبانيا، ص 52.

[42]- نفس المصدر، نفس الصفحة.

[43]- عنان، دولة الإسلام في الأندلس، (295/1).

[44]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، (808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، د ر ط، 1971، (126/4).

[45]- ستانلي، قصة العرب في إسبانيا ص 91.